ولم تلحّ «كْلُوويه» واستمرّت متشاغلة حوله.

لم يَقِل بعد تناول الفاكهة بل ذهب يجلس فوق وسادة وهو يُسبّح بسبحته المُتّخَذة من العنبر. وبعد ساعة وصل «ماني». ولم يرفع «مالكوس» عينيه.

ـ رأيتك وأنا أجتاز الحديقة... كنتَ غارقاً في الحديث مع بعض الناس... هل تعرفهم؟.

ـ لا. كنت أرسم نقشاً زَهْرِيّاً بالحبر الأحمر فأقبلوا عليّ وتحدّثت إليهم.

ـ من غير أن تعرفهم؟.

ـ لا أعرف خارج بيتك أحداً في هذه المدينة.

ـ سأقول لك من هم أولئك الناس: متعطّلون، تافهون، مخبّلون، سكّيرون، كل الذين ليس لهم ما يشغلهم في الصباح سوى التسكّع في الأراضي البور... أنتَ لا تقول شيئاً! لا تأبه بأن يكون من يستمعون إليك أخسّ أشقياء الحيّ!.

ظلّ «ماني»صامتاً. بيد أنه كان في تمرّد هذا الصبيّ ذي الأربعة والعشرين عاماً، هذا الصبيّ الكبير الملتحي والمبرقَش، من البراءة ما دفع بـ «مالكوس» إلى عدم الإصرار. وارتخت ذراعاه، وانطبقت عيناه نصف انطباقة، وذهب يَقيل قيلولته التي أُخّرت بلا جدوى.

تحاشى «الصُّورِيّ» في الأيام التالية المرور بالحديقة. وفضّل أن يُرغم نفسه على التفافة كبيرة على أن ترى عيناه مجدّداً مخالطات «ماني» الدنيئة. أفيكون قد سلك بعد أسبوع طريقه القديمة بدافع الفضول أم الكَلال أم لمجرّد السهو؟ وكان المشهد هذه المرة مختلفاً. فقد كان يحيط بالرسّام أكثر من خمسة عشر شخصاً بينهم اثنان أو ثلاثة من متسكّعي اليوم الأول، ولكنّ فيهم أيضاً أناساً من جميع الطبقات منهم جارٌ، «صُوريّ» مثل «مالكوس»، غنيّ ومحترم. وكان ابن (بابل) جالساً كعادته على ساقه اليسرى مطويّةً تحته وكتابه مفتوح أمامه،